

## مكانة الدين في التعليم

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

-----

بمناسبة ما كتبه أخيراً الأستاذ عباس خضر عن مكانة الدين في التعليم ألفت نظر القراء إلى ملاحظات الكاتب الإنجليزي كنت رشميد Kenneth Richmond فإنه يقول في معرض الكلام عن الاتجاهات الجديدة (وهي ضد ذلك النوع من «التقدم» الذي يحاول أمثال سلامة موسى أن يفتعلوه لأنفسهم عنفاً بلا كل ولا نصب) في ميدان التعليم بأجملنا ما يلخص بأن ظروف الحرب العالمية الأخيرة — مثل إختفاء الفوارق بين الطبقات في المنابي والمساهمة في التضحيات على السواء، والإقبال على الخدمات الاجتماعية، وضرورة الارتجال في كثير من الأمور — أثار في الشعب شعوراً قوياً يجعل التعليم جاعياً بعد ما كان إلى ما قبل الحرب فردياً. ومعنى ذلك أن الفرد سيرى زبنة تبتس على الاهتمام بمصالح الشعب كله بعد ما كان يهودن ذلك الاهتمام على مصلحة ذاته، وبسببها أخرى حثبذل من الآن محاولة للبقاء على عواطف الأفراد ومشارهم نحو الجماعة أو الشعب في حالة السلم على ما كانت هي عليه إبان الحرب وأمام خطر الفناء المشترك. ولنضرب لذلك مثلاً، فإن الفرق دقيق ويطلق بالروح أكثر مما يصدق بالشكل بين المروف أن كليات العلوم والهندسة في إنجلترا كانت قد تحولت أيام الحرب إلى مصانع للتنايل والشاد للحربي، كما أن المصانع كانت قد أنشأت فصولاً لتدريب فئات مختلفة من الشبان الجدد في الصناعات المختلفة، وكان النخرطون في هذه الصفوف طلاباً ناشئين للعلم؛ وكانوا في الوقت نفسه يقومون مقام العمال المنتجين يدفع لهم بعض الأجر، ولكن الطالب كان يشتمل لا ليكتسب لنفسه وبيبيء سبيل العيش لذاته، بل إنما كان ذلك مساهمة منه في الجهود القوي للدفاع عن الشعب بأسره. وكان يكثف العمل من أوله إلى آخره جو من الحثيئة والوانية والحماس وإخلاص النية جعل التعليم أسرع وأشد وأجمع بكثير من الفناء المحاضرات وتجميع الدروس في المعامل التجريبية.

كان من الطبيعي إذاً أن يتجه المستولون عن سياسة التعليم، غير المصابين بمركب النقص الذي يحدو المرء إلى محاكاة التقدم الزائف، إلى التساؤل: هل يمكن أن تستمر هذه الروح الجماعية السليمة القوية تعود معاهد التعلم بعد أن انتهت الحرب وزال الخطر؟ وكان الجواب: نعم بشرط أن يكون هناك مقصد عال ومرمى واضح يوضع موضع الانتصار على هتلر وأعوانه. وهل تصور أن يتألف هذا المقصد السلمي القائم إلا من قيم روحية وأخلاقية إنسانية ذات منفعة عالمية مجد الفرد في تسميتها وتشيدتها ما كان يجد في إمداد القوى الحاربة وتعزيز الدفاع ضد العدو؟ ثم هناك مسألة أخرى وهي: هل يمكن أن توجد تقوى وتزدهم القيم الروحية والأخلاقية مجردة عن نظام ديني؟ هما يقل القائلون في هذا الصدد فإنه يكفينا في هذا المقام أن الفكرين في إنجلترا رأوا أن لا معدى لهم عن الارتكاز على الدين (لا استنلاله كما نضل نحن في بعض المناسبات) ولذلك دسموا الدين مكاناً محترماً ممتازاً في مشروع قانون التعليم لسنة ١٩٤٤ م. ولكن هناك بعض الناس يخيل إليهم أن القيم الإنسانية إذا اقترنت بالإسلام فهي لا يد أن تتحول «طائفية» أرى أن الانصراف عن إنتاج هؤلاء الناس أول من الرد عليهم.

وهكذا صر التعليم بأربعة أدرار مختلفة؛ فإنه كان في الأول يتنصر على نقل بعض المعلومات إلى ذهن الطالب. ثم اتسع نطاقه حتى شمل الجسم السليم مع النقل السليم؛ وبعد ذلك أشاروا بإراز شخصية الطالب وتنمية قواه الكامنة تحمب، حتى انتهى بهم المطاف في الوقت الحاضر إلى إدماج تلك الشخصية في المجتمع وضرورة توجيه عواطف وتركيز إهتمامه في المصالح الجماعية.

وللكاتب الإنجليزي المذكور إستطرادات طريفة، منها أن الولاء للقدور السامية والقيم الأخلاقية من أقوى الضمانات للاقلال من أوقات الفراغ والقضاء على الكسل والبطالة والحد من للرح والمسزل؛ وفوق ذلك كله هو الدواء الوحيد لتجنب الإنسانية ويلات تقدم العلوم والحضارة الآلية التي تؤدي إلى فناء الرواسية وعدم المروءة. ولعل من أهم ما استطرده إليه الكاتب معارضته القول بأن الديمقراطية الحققة لا يمكن أن توجد إلا بالاستناد إلى الدين؛ وذلك لأن المساواة بين الناس شيء لا وجود له